

إلى تلميذة

كُلُّ الدَّرُوبِ أَمَامَنَا مَسْدُودَةٌ وَخِلَاصُنَا فِي الرَّسْمِ بِالْكَلِمَاتِ
قُلْ لِي ، وَلَوْ كَذِبًا ، كَلَامًا نَاعِمًا قَدْ كَادَ يَقْتُلُنِي بِكَ التَّمَثَالُ
مَا زِلْتِ فِي فَنِّ الْمَحَبَّةِ ... طِفْلَةً بَيْنِي وَبَيْنِكَ أَبْحُرُّ وَجِبَالُ
لَمْ تَسْتَطِيعِي ، بَعْدُ ، أَنْ تَتَفَهَمِي أَنَّ الرَّجَالَ جَمِيعَهُمْ أَطْفَالُ
إِنِّي لِأَرْفُضُ أَنْ أَكُونَ مُهْرَجًا قَزْمًا ... عَلَى كَلِمَاتِهِ يَحْتَالُ
فَإِذَا وَقَفْتُ أَمَامَ حُسْنِكَ صَامِتًا فَالصَّمْتُ فِي حَرَمِ الْجَمَالِ جَمَالُ
كَلِمَاتُنَا فِي الْحُبِّ تَقْتُلُ حُبَّنَا إِنَّ الْحُرُوفَ تَمُوتُ حِينَ تُقَالُ

قِصَصُ الْهُوَى قَدْ أَفْسَدَتْكَ ، فَكُنَّا غَيْبُوبَةً وَخُرَافَةً وَخَيَالُ
الْحُبِّ لَيْسَ رِوَايَةً شَرْقِيَّةً بَخْتَامَهَا يَتَزَوَّجُ الْأَبْطَالُ
لَكِنَّهُ الْإِبْحَارُ دُونَ سَفِينَةٍ وَشَعُورِنَا أَنَّ الْوَصُولَ مُحَالُ
هُوَ أَنْ تَنْظُرَ عَلَى الْأَصَابِعِ رِعْشَةً وَعَلَى الشَّفَاهِ الْمُطْبِقَاتِ سَوَالُ
هُوَ جَدُولُ الْأَحْزَانِ فِي أَعْمَاقِنَا تَنَمُّو كَرُومٌ حَوْلَهُ وَغِلَالُ
هُوَ هَذِهِ الْأَزْمَاتُ تَسْحَقُنَا مَعًا فَنَمُوتُ نَحْنُ ، وَتُزْهِرُ الْأَمَالُ
هُوَ أَنْ تَنْثُورَ لِأَيِّ شَيْءٍ تَافَهُ هُوَ يَا سُنَا .. وَشَكُنَا الْقَتَالُ
هُوَ هَذِهِ الْكَفُّ الَّتِي تَغْتَالِنَا وَنَقْبَلُ الْكَفَّ الَّتِي تَغْتَالُ
لَا تَجْرَحِي التَّمَثَالَ فِي إِحْسَاسِهِ فَلَكُمْ بَكِي فِي صَمْتِهِ تَمَثَالُ
قَدْ يُطْلَعُ الْحَجْرُ الصَّغِيرُ بِرَاعِمًا وَتَسِيلُ مِنْهُ جِدَاوِلُ وَظِلَالُ
إِنِّي أَحْبُبُكَ .. مِنْ خِلَالِ كَابِتِي وَجَهًا كَوَجْهِ اللَّهِ لَيْسَ يُطَالُ
حَسْبِي وَحَسْبُكَ أَنْ تَظْلِي دَائِمًا سِرًّا يُمَزَّقُنِي .. وَلَيْسَ يُقَالُ

شرح القصيدة :

القصيدة غزلية تمثل فن التحدث إلى المرأة وبراعة الكشف عن العواطف المشحونة بالمفاهيم والمواقف ، وهي من شعر نزار قباني إذ يمثل انقلابا على مفهوم الغزل العربي ، حيث البوح بالحب في مجتمع مسيح بالأعراف والتقاليد ، مجتمع لم يكن يعترف بمثل هذا الحب الجريء والصريح ، وهذا التوجه إلى الغزل عند نزار جعله في رأي النقاد والدارسين ، شاعر المرأة والجمال في دنيا العرب .

يمثل مطلع القصيدة موقفا لفتاة معجبة بالشاعر وقد أثارتها لا مبالاته نحوها فتسأله : " قل لي ولو كذبا كلاما ناعما " ، ويرد الشاعر بسيل من المعاني والمواقف تتخللها جملة من المشاعر والعواطف التي تداخلتها مفاهيم وآراء جاد بها فكره ..

فإذا بالفتاة الغضة ، العطشى إلى الحب ، تترجم واقعا لمجمل الفتيات في مثل سنها وفي مثل نظرتها إلى الحب .. هو الحب الذي تكتنفه البراءة وتظلمه الأحلام بعيدا عن التقاليد وقساوتها أحيانا ، أما الشاعر ففي رده نصح وإرشاد يطمسان حقيقة اندفاعه نحو الفتاة ..

ويأخذ الشاعر في إيراد سلسلة من التعريفات للحب تعمق مفهومه عند الفتاة وتوسع إدراكها له ، فصمته أمامها بوح واعتراف بحبها .. والتعبير عن الحب ليس إحياء له وإنما قتل وتحيد ..

قصص الهوى التي سمعتها هذه الفتاة ما هي إلا من نسج الخيال مسطح .. الحب عند الشاعر ليس طقسا شرقيا ينهي حكما نهائية معهودة ..

ونزار قباني يكشف عن موقف من الجمال ، يتمثل في الصمت المعبر بوضوح عن حقيقة ما يفكر فيه تجاه قضية شغلت الناس والمجتمع منذ أقدم العصور : إنها قضية الحب والعلاقة بين الرجل والمرأة ، ومفهوم كل منهما لهذه القضية ، حيث التباين في الرأي وفي المفهوم والموقف ..

ومن المعاني التي تستوقفنا قول الشاعر : " الصمت في حرم الجمال جمال "

اذ تستوقفنا هذه القصيدة للشاعر التي انصهرت في ذاتيه لننصهر فيها .

إلى تلميذة قصيدة من الماء منقوشة بريشة صفراء نزارية الهوى .

قل لي ولو كذباً كلاماً ناعماً قد كاد يقتلني بك التمثال

حوار بين العاشق والمعشوقة فهي واقفة عيناها تحديق فيه كأنما تحديق في اللاشيء ،
لغة الشوق نسيج الكلمات تبحث من شفثيه مفردات ناعمة ، امرأة أودع الله سبحانه
وتعالى فيها شيئاً من الجمال العاطفي .

ساكت هو ..

ثائرة هي

لوجهه صورة التمثال أمامها ، جسد لا حراك له ، روح جامدة ، يعذبها السكون
وهذا من أقسى أنواع الألم يحسه العاشق الذي أتعبه العشق ..

ما زلت في فن المحبة طفلة

بيني وبينك أبحر وجبال

نفض غبار الصمت عن جسده وشفثيه ..

إنك لا زلت في الحب طفلة بين مسافة حبنا أبحر ذات أمواج ورياح ، جبال قاسية
التراب ..

إنه يشعرنا بما تعانیه المرأة في مجتمعنا العربي ذاك المجتمع الذي لا يزال يكبل
معصمها بألاف السلاسل والذهب .

إنك أيتها العاشقة

تحملين دعاية الطفولة عقلاً من البنفسج

أنت والطفلة لغة واحدة

مرأة لوجهين لهما ذات المعنى

لم تستطيعي بعد أن تتفهمني

أن الرجال جميعهم أطفال

لذلك لم تستطيعي ولن تستطيعي أن تقرئي الرجال ..

الرجال في العشق كما الأطفال مشغوفون بالحنان والعناق ولثم الثدي قبلات لتستمر
الحياة .

ثائر هو ..

ثائر ضد السكون

ثائر ..

يكتب الحب سيمفونية بطعم التوت

إني لأرفض أن أكون مهرجاً

قزماً على كلماته يحتال

نزار يرفض أن يكون مهرجاً قزماً يثير الضحك والنشوة في المتلقي ويحتال على
كلماته التي كتبها بفكره وروحه وفيه رداً على من يقول : أنه يوزع الحلوى على
المراهقات ظناً منهم أن قصائده وقتية .. .

لذا لا نجدهم بينما نجده خالداً كصورة مونا ليزا .

إنه عبر بساتين الجمال الذي رصع بجمال عينيك ، شفقتك ، نهديك ، كل النعومة
والطراوة في جسدك المبلل بالياقوت .

صامتاً بلا حروف ..

إن الصمت من أجمل وأبلغ العبارات التي تكتب وتقال .

فإذا وقفت أمام حسنك صامتاً

فالصمت في حرم الجمال جمال

لم يخطأ الأديب الإنجليزي أوسكال وايلد يوم قال "إن اللغة خلقت لتخفي مشاعرنا" .

أجل إن المشاعر التي نحس بها سواء كان ذلك في الجانب العاطفي أم في غيره من
الجوانب فإنه الكلام لن يستطيع أن يعبر ويصور ما يجول بخاطرنا على الوجه
الأكمل ، أما في العشق فالكلام سيقول المعاني السامية والمشاعر المخملية .

كلماتنا في الحب تقتل حبنا

إن الحروف تموت حين تقال

عندما أقول فإن الحروف ستقتل حبا ..

أتعلمين لماذا ؟ .

لأن الحروف تموت حين تقال

إنه ينظر إلى الموت بمعنى الانتهاء بعكس ما صرح به الفلاسفة من أنه الموت عبارة عن عملية انتقال من وضع إلى وضع .

الموت في مفهوم الشاعر انتهاء للحالة العشقية واللذة .

التعبير :

والقصيدة بمعانيها وعواطفها وصورها نتاج متوازن للقوي الأدبية جاء في صياغة متميزة بالرقّة والسلاسة وبالتعبير الحي والمتنوع فمن جملة انشائية الى أخرى خبرية حيث الانسياب والعذوبة ومن أسلوب التوكيد (٤ - ١٧) الى أسلوب التكرار (١١ - ١٤) ومن كم تكثر في المحسنات البديعية والصور البيانية من مثل التشبيه والاستعارة والكناية والطباق وغيره مما يضيف على الكلام الكثير من الرونق بعيدا عن التكلف

اما اللفظة فتبعث على الارتياح وتدل على حسن الانتقاء وهي مختارة للفن نفسه الجرس والايقاع متوافران ويتركان أنا في نفس السامع وبخاصة عند الاحساس بالوزن الفخم المختار والقافية اللينة الممدودة لقد أجاد الشاعر تحقيق التآلف بين مختلف عناصر الأدب من فكرة وعاطفة وصورة وبرع في الصياغة والملاءمة بشكل طبيعي وعفوي يشف عن ذوق رفيع وفهم وتعمق واحاطة باللغة التي أتقنها .